

مشاركة المرأة في الكفاح كانت المفتاح للتغيير في المجتمع الكويتي بعد الاحتلال الصدامي



دور بطولي للمرأة بتصديةا ومواجهتها للاحتلال العراقي وإصرارها على عودة الشريعة

عنف تجاه المدرسين، بشكل لم يمكن تصوره من قبل، وبما أكد المدى الذي تعمقت به آثار هذا الصراع على جيل كامل من الأطفال الكويتيين، وقد زاد من تعقيدات هذه المشكلات النفسية، تزايد المخدرات والكحول وسوء المعاملة والممارسات الخاطئة والفساد في قطاع الأعمال، وقد عملت بعض المنظمات النسائية، إلى جانب الهيئات الدينية ومجلس الرياضة، في أنشطة تهدف إلى إعادة تأهيل ضحايا تعاطي المخدرات، من خلال محاولة فهم مشكلاتهم بدلا من معاقبتهم، وفيما بعد تحرير الكويت، تم الاتصال بمارك ساندمان، الخبير الأمريكي في أمراض الصدمة النفسية، من قبل ممثل عن الديوان الأميري، وتمت دعوته إلى الكويت لمعالجة الآثار النفسية للغزو العراقي، وتدريب الطواقم الطبية المحلية على التعامل معه، وخلال خبرته الطويلة في معالجة هذا المرض في الكويت، تحدر الإشارة إلى ملاحظاته التالية:

نستطيع تعريف ما طال الكويت من تقدم في مرحلة ما بعد العدوان العراقي على أنه يعتبر إرث لما تعلمته الكويت خلال مرحلة العدوان العراقي، وبشكل عام، يمكن القول إن وحشية القوات العراقية تركت وراءها إرثا من الاختلاف العميق بين دول العالم العربي والعالم الإسلامي، فقد أضحت من المستحيل العودة إلى نفس طريقة الحياة التي كانت معهودة قبل العدوان، ومع ذلك، فإن حالة الكويتيين تجاوزهم هذه المرحلة تعد نموذجا بين كيف أن الحدث الصادم يمكن أن يؤدي إلى نمو وإغناء غير متوقع، فقد قام الكويتيون بإعادة بناء حياتهم حول واقع ما تعرضوا له وما تعلموه خلال تجربتهم.

فقد شهدت حقبة ما بعد انتهاء الصراع تغييرات في الموقف وتباينات في الانقسامات الأيديولوجية، ذلك ان التغيير الذي طال الكويت في تغيير دائم وليس عارضا، وهي ما تزال تحاول تلمس طريقها، وقد منححت الحكومة تنازلات للفصائل الليبرالية، مثلما في حرية الصحافة وتحرير التجارة، ولكنها أيضا تحاول تليل التقليديين، من خلال قيامها بإنشاء لجنة للنظر في تطبيق وتعزيز الشريعة الإسلامية، لكن للأسف، فإن محاولتها القيام بتهئية الجماعات المختلفة، في محاولة منها لاستثمار مناخ الوحدة الذي عرفه الكويتيون في مرحلة ما بعد الحرب، فإن الحكومة إما تسببت في زيادة الانقسامات، فقد استفذت الكثير من الطاقات وضاع الكثير مما تعلمته الكويت خلال تجربة الحرب على مشكلات الإقتال الداخلي، وذلك عوضا عن النمو والتنمية، إلا أن الكويتيين باتوا مستعدين هذه المرة لمواجهة النظام الأبوي القائم الذي يفصله آل الصباح، وأصبحوا قادرين على الضغط من أجل الإصلاح.

ذك أنه في لحظة عابرة، تداخلت معتقدات التقليديين، من خلال وحدة الثقافة، مع معتقدات الحداثيين، الذين يرون أن الوحدة تتم من خلال وحدة الديموقراطية، وكانت هذه هي اللحظة، وأكثر مما في أي دولة أخرى، التي جسدت التحول في المجتمع الكويتي في فترة ما بعد الحرب، فهذا النمط الجديد من الوحدة الذي اكتشفه المجتمع الكويتي حديثا أصبح يمثل أكبر قوة توجه التنمية في مرحلة ما بعد الحرب في المجتمع الكويتي، وهذه الوحدة هي التي تستعمل على تحطيم الانقسامات القديمة المتعددة مرة وإلى الأبد.

ج - الآثار غير المباشرة:

لقد حطم الغزو الباني والسرقة والجسور، ولكنه أيضا حطم الذاكرة الجماعية للكويتيين لسنوات عديدة، فعلى الرغم من نجاح تحرير الكويت، فإن الناس لم يجدوا أي عزاء ينسبهم ما حدث، وبخاصة مع بقاء المقيور صدام حسين موجودا عبر الحدود، بما يفعله من خطر مشؤوم على السلم والأمن، وبما يمتلكه من قوات مسلحة ضخمة تحت تصرفه ومخزون من الأسلحة الكيماوية والبيولوجية، ولذلك تعمقت الندوب والجروح عميقا في داخل اللاوعي الكويتي، وسببت جروح صعب على وسائل الإعلام الغربية أن تتعرض لها عليها بشكل كاف، حين قللت من شأن وخطورة الصدمة النفسية والآثار المترتبة على الاحتلال التي عانى منها الكويتيون.

إن ذكرى الغمف واكتشاف هياكل عظمية أدمية بالمصادفة في الصحراء، والتشوهات التي تسببت فيها الأتغام وممارسات الاحتلال، ومرأى القنابل غير المنفجرة عاتمة على سطح البحر، كل هذا ولد إحساسا حقيقيا بمعنى الخوف وغرس في أذهان الكويتيين عقيلة الحصار، وعندما عاد أولئك الذي أجبروا على المنفى إلى بلادهم، وجدواهم مدمرة وصعب عليهم التعرف على ملامحها، فتحت أولئك الكويتيون الذين تمكنوا من الفرار من نيران الاحتلال ظلوا يعانون من الآثار المرضية السلبية لما بعد الصدمة.

تجلت الاضطرابات في كثير من الأحيان على هيئة الأمراض النفسية لما بعد الصدمة، ومن خلال أعمال العنف التي تصير من قبل الفتيان، وعلى هيئة حالات إغماء تخشبي (جامود) بين الأطفال، حيث أظهرت إحدى الدراسات التي أجريت في عام 1993 أن 70% من الأطفال الكويتيين أصبحوا يعانون من أحد أشكال اضطرابات ما بعد الصدمة عقب الحرب، وهو ما ينجم عن تعرضهم لمشاهد القتل والجرح والإصابة أو حتى مشاهدة الأحداث العنيفة عبر التلفزيون والصور المنشورة بالصحف، وتضاعفت أعداد الحوادث التي يقوم فيها الطلاب بارتكاب أعمال

الأصوات ترتفع وسط الظلام مثل صرخات الأرواح الشريرة، لم تكن مما يمكن أن يتحملة كثير من العراقيين، لدرجة أنهم كانوا يطلقون النار من بنادقهم الهجومية ومدافعهم الرشاشة على أسطح المنازل لوقف هذا الصوت، وكان مزيج اللونين الأخضر والأحمر يظللان أسقف المدينة مع دوي الأسلحة الذي يرد على الأصوات القوية، بمخاضة مصدر إلهام خطير، فقد كان الأمر أن الصوت يقف في مواجهة الرصاص، فقد نشأت روح تعاون وثيقة بين أغلب الكويتيين بطريقة لم يعهدها منذ ما قبل تدفق الزوة الغطفية السهلة، «كنا على مثل هذه الحال في الأيام الخوالي»، كان هذا تعليق إحدى السيدات الكويتيات من كبار السن عندما تحدثت إليها، «على الأقل، قد تعلمنا من العراقيين قيمة الحياة، وتذكرنا ماذا كان يعني النضال في الأيام الخوالي»، قالت هذا بكل تفاؤل. وأضافته «أمل أن يبقى هذا بعد رحيلهم».

كذلك قامت مجموعة من الفئتين الكويتيين المغامرين بتجهيز معدات لاسلكية إلى خارج الكويت، وبثت إرسالها الإذاعي عبر الصحراء السعودية، وهي الحطة التي عرفت باسم «صوت الكويت، وإلى جانب هذا البث الإذاعي والخطابات من الحكومة في المنفى، انضم الموسيقيون الكويتيون إلى المقاومة، فالتطرب الكويتي المعروف شادي الخليل رفع معنويات الكويتيين بغناء أغنيته الشهيرة، إلى جانب غنيات أخرى، تتخللها الأخبار والتقارير، مما أعطى الأمل للكويتيين في النصر ورفع معنوياتهم، وجعلهم يشعرون أنهم ليسوا وحدهم متروكين لهذا الاحتلال، وذابت الانتمايزات الطبقيّة والقبلية، ووقفت الأمة وقة رجل واحد.

تصرفت المرأة الكويتية باعتبارها محورا لشكل من أشكال المقاومة السلبية، وكانت هي المحفز الفعال الذي انطلقت منه حركة المقاومة، وتذكر فاطمة، وهي إحدى النساء المنخرطات في المقاومة، هذه الأيام، بقولها:

«بعد الغزو، تجمدت الكويت كلها تقريبا، لم يكن أي شيء يحدث إلا المكالمات الهاتفية والدموع والخوف، وبالطبع كنت أسمع أصوات كل تلك الآلات العسكرية، وشعرنا أن مسؤوليتنا هي كسر هذا الجليد الجامد، فإذا ضربك شخص على رأسك وجعلك تفقد الوعي، فأنت بحاجة إذن لشخص آخر يرش على وجهك دفقة ماء باردة، ويربت على خديك حتى يوقظك من فقدان الوعي، وهذه هي بالضبط، فيما اعتقد، اللحظة التي حان فيها دور المرأة في الكويت».

وقد مثلت هذه المشاركة العميقة للمرأة في المقاومة المفتاح للتغيير في المجتمع الكويتي بعد الحرب.

تتعاطم الآثار المالية التي ستؤثر بشكل مباشر على مستوى معيشة الكويتيين من الطبقات المتوسطة لسنوات عديدة، كل هذا اضطر الإمارة إلى إيجاد سبل جديدة لخفض النفقات، من خلال تقليص المنح والدعم الذي اعتاده الكويتيون والذي رسخ عقلية الاعتماد على الدولة، ورغم كل ذلك، إلا أن الإصلاح كان بطيئا، واستمر الركود البرلماني الناجم عن الاحتكاكات بين الفصائل المحافظة والليبرالية داخل مجلس الأمة، مما نجم عنه وقف أي تغييرات كبيرة، لحين حلول القرن الحادي والعشرين.

ب - العلاقات التفاعلية

لقد أدى الكفاح الكويتي أثناء الغزو إلى بناء وتأسيس روح تضامنية وتراحمية قوية ومشتركة بين جميع الكويتيين، امتدت بغض النظر عن الطبقة والخلفية الاجتماعية، وكانت هذه الوحدة مسألة جديدة إذا ما قورنت بتعدد الانقسامات الواضحة السابقة التي كان يجرحها الدين خلال حقبة الأزهار الاقتصادي خلال عهدي السبعينيات والثمانينات، وكما أشار للفتنات كولونيل أحمد رحمانى «في الكويت، انخرط الجميع من الأطفال إلى كبار السن في المقاومة، فلم يكن هناك من الكويتيين دمي يمكن للعراق استخدامها في تشكيل حكومة للاحتلال، فقد كان كل مواطن كويتي في صف المقاومة»، وهذا الأمر سحب أي شرعية من العراقيين، فلم تكن هناك حكومة ترضى أن تكون عميلة للاحتلال في محاولة للتأثير على الكويتيين وحثهم على التعاون من الاحتلال. كانت المقاومة الكويتية غير منظمة في البداية، إلا أنها أبدت مقاومة شرسة رغم ذلك، وأظهرت للعراقيين أن إخضاع الكويت لن يكون عملية سهلة كما كانوا يأملون، وقامت الجماعات المسلحة بالتحريض على حرب العصابات، وتحريب المنشآت العراقية، كذلك كان هناك العديد من الكويتيين ممن قاموا بالعراقين بشكل سلمي، وذلك عن طريق إخفاء الأجانب، وجمع المعلومات لصالح قوات التحالف، والتحريض على حملة العصيان المدني، وترجمة الأخبار من وسائل الإعلام الدولية، وإصدار النشرات الإخبارية وإقامة المرافق الطبية للجرحى ومن مقاتلي المقاومة الكويتية، والعمل للحد من آثار تدمير أبار النفط.

ولإعطاء مثال بيزر هذه الأمور، فقد قدم جون ليفين في كتاباته خبرته عن حرب الخليج، كما يلي: في ليلة 11 أغسطس، صعد أغلب الكويتيين إلى أسطح منازلهم، ودعوا بأعلى صوتهم (الله أكبر)، وهي جزء من آذان الصلاة، واستمروا لمدة نصف ساعة كاملة، وتكررت هذه العملية في ليلة 1 سبتمبر، كانت تلك تجربة مخيفة للغاية، تصيب بالخوف والقسعيرية، ذلك أن الاستماع إلى الآلاف من

سيقوم البحث الحالي بدراسة السبل التي لا تعد ولا تحصى التي مارس فيها الغزو العراقي للكويت والتأثير والتغيير على المجتمع، وسيفتح مجموعة واسعة من الموضوعات العامة، والقضايا والموضوعات التي تتناول ليس فقط الآثار الجيوسياسية للحرب على الكويت، لكن أيضا الانعكاسات الاجتماعية والثقافية. وحتى يمكن توضيح مجموعة الروابط والتأثيرات بين الغزو العراقي وحروبه، وبين المجتمع الكويتي، فإن هذه الأطروحة ستلقي نظرة على ثلاثة أنواع من التأثير التي نجمت عن الغزو والحرب، وهي:

أ - الآثار المباشرة.

ب - العلاقات التفاعلية.

ج - الآثار غير المباشرة.

وبهذا سيتمكن تسليط الضوء على العلاقات المتبادلة بين الأحداث في زمن الحرب وبين الخبرات التي مر بها المجتمع الكويتي، ليس فقط خلال فترة الحرب، لكن أيضا في المدى البعيد المتعلق بآثارها الدائمة على المجتمع والتي تستمر لعقود طويلة حتى بعد انتهاء الصراع.

للكشف عن هذه الاتجاهات، فإن الأطروحة الحالية سوف تستفيد من عدد من المصادر، ومنها: الرسائل واليوميات والسير الذاتية والفائق الرسمية والروايات والقصاص والأغاني الوطنية والرسوم الكاريكاتورية السياسية، كما سيتم أيضا استخدام المسوح واستطلاعات الرأي العام، كما كان للغزو تأثير كبير على الثقافة، والعلاقات المدنية العسكرية، والاقتصاد، والعمل، والتعليم (العسكري والمدني على حد سواء)، والبيئة والصحة، والصحافة ووسائل الإعلام، والقانون والعائلة والتخطيط الحضري، الجنس والدين، وقيادات الحكومة والأسرة الحاكمة ككل. وتسهم هذه المصادر المتنوعة، المستمدة من الصحف المحلية والدولية، والمجلات، والكتب، والمواقع والمدونات الإلكترونية، في تقديم لمحة عامة ممتازة لتأثير الصراع على الموضوع الأساسي لهذه الدراسة، وهي المرأة في مجال السياسة. وإلى جانب الأدبيات الأكاديمية من مثل ماري تيتريو، وهيا المنفي، وماري ريزو، فإن المدونات، والاستبيانات، والمقابلات الشخصية مع شخصيات كويتية عادية ستسهم أيضا في إعطاء نظرة شمولية عن الوضع السياسي الديناميكي في الكويت بعد نزاع عام 1990.

أ - الآثار المباشرة

لقد تغيرت ذهنيات الجنود والمدنيين الكويتيين بشكل كبير أثناء وبعد الغزو العراقي للكويت، وذلك جراء اضطرابات التوتر والصدمة النفسية التي أصابت نسبة كبيرة من الكويتيين. فقد تحولت وتغيرت الاستراتيجية والسياسة العامة للقوات المسلحة الكويتية، حيث أصبح للخدمة العسكرية الإجبارية تأثير دائم على الهياكل الاجتماعية، وخصوصا في الطريقة التي شجع بها هذا الأمر على تصاعد التوجه نحو المهنة العسكرية لدى كثير من الشباب. كانت الآثار المادية المباشرة للحرب العراقية كبيرة ومدمرة، ذلك أن العديد من الكويتيين فقدوا كل شيء كانوا يملكونه، واتسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء. فمثلا قد نفقت أكثر من 80٪ من رؤوس الماشية في الكويت - وهي أساسا من الأبقار والأغنام والماعز - خلال الاحتلال العراقي بين أغسطس 1990 ومارس 1991، كما تسببت الحرب في وفاة الآلاف من الطيور، وأدت بقع النفط المسكوب إلى تلف وحراق هائلة في البيئة البرية والبحرية، ورغم كل ذلك، كانت جهود إعادة الإعمار سريعة، كما أيد المواطن الكويتي تأييدا تاما الحكومة في جهودها لإعادة الإعمار، وبذلك وضعت الخلافات السياسية جانبا في أعقاب النزاع. وكان التأييد الدولي بالمساعدات المالية الدولية في جهود إعادة إعمار الكويت المدمرة لا يقدر بثمن، حيث حصلت عليها الحكومة عندما كانت لا تزال في المنفى.

أما بالنسبة للآثار الاقتصادية، فإن دفع نفقات الحرب وإعادة بناء الدولة الممرقة كانت عملية مكلفة للغاية، وأعاقت بشكل خطير إنتاجية الكويت، أضف إلى هذا خسوف تأخير في استئناف إنتاج النفط، وبذلك

إعادة بناء الكويت بعد الاحتلال العراقي كانت مكلفة للغاية وأعاقت بشكل كبير عملية الإنتاج الكفاح الكويتي أثناء الاحتلال أدى إلى بناء وتأسيس روح تضامنية وتراحمية قوية بين جميع الكويتيين

المرأة الكويتية كانت هي المحفز الفعال الذي انطلقت منه حركة المقاومة أثناء الاحتلال

بعد الغزو إلى بناء وتأسيس روح تضامنية وتراحمية قوية ومشتركة بين جميع الكويتيين، امتدت بغض النظر عن الطبقة والخلفية الاجتماعية، وكانت هذه الوحدة مسألة جديدة إذا ما قورنت بتعدد الانقسامات الواضحة السابقة التي كان يجرحها الدين خلال حقبة الأزهار الاقتصادي خلال عهدي السبعينيات والثمانينات، وكما أشار للفتنات كولونيل أحمد رحمانى «في الكويت، انخرط الجميع من الأطفال إلى كبار السن في المقاومة، فلم يكن هناك من الكويتيين دمي يمكن للعراق استخدامها في تشكيل حكومة للاحتلال، فقد كان كل مواطن كويتي في صف المقاومة»، وهذا الأمر سحب أي شرعية من العراقيين، فلم تكن هناك حكومة ترضى أن تكون عميلة للاحتلال في محاولة للتأثير على الكويتيين وحثهم على التعاون من الاحتلال. كانت المقاومة الكويتية غير منظمة في البداية، إلا أنها أبدت مقاومة شرسة رغم ذلك، وأظهرت للعراقيين أن إخضاع الكويت لن يكون عملية سهلة كما كانوا يأملون، وقامت الجماعات المسلحة بالتحريض على حرب العصابات، وتحريب المنشآت العراقية، كذلك كان هناك العديد من الكويتيين ممن قاموا بالعراقين بشكل سلمي، وذلك عن طريق إخفاء الأجانب، وجمع المعلومات لصالح قوات التحالف، والتحريض على حملة العصيان المدني، وترجمة الأخبار من وسائل الإعلام الدولية، وإصدار النشرات الإخبارية وإقامة المرافق الطبية للجرحى ومن مقاتلي المقاومة الكويتية، والعمل للحد من آثار تدمير أبار النفط.

لقد تغيرت ذهنيات الجنود والمدنيين الكويتيين بشكل كبير أثناء وبعد الغزو العراقي للكويت، وذلك جراء اضطرابات التوتر والصدمة النفسية التي أصابت نسبة كبيرة من الكويتيين. فقد تحولت وتغيرت الاستراتيجية والسياسة العامة للقوات المسلحة الكويتية، حيث أصبح للخدمة العسكرية الإجبارية تأثير دائم على الهياكل الاجتماعية، وخصوصا في الطريقة التي شجع بها هذا الأمر على تصاعد التوجه نحو المهنة العسكرية لدى كثير من الشباب. كانت الآثار المادية المباشرة للحرب العراقية كبيرة ومدمرة، ذلك أن العديد من الكويتيين فقدوا كل شيء كانوا يملكونه، واتسعت الفجوة بين الأغنياء والفقراء. فمثلا قد نفقت أكثر من 80٪ من رؤوس الماشية في الكويت - وهي أساسا من الأبقار والأغنام والماعز - خلال الاحتلال العراقي بين أغسطس 1990 ومارس 1991، كما تسببت الحرب في وفاة الآلاف من الطيور، وأدت بقع النفط المسكوب إلى تلف وحراق هائلة في البيئة البرية والبحرية، ورغم كل ذلك، كانت جهود إعادة الإعمار سريعة، كما أيد المواطن الكويتي تأييدا تاما الحكومة في جهودها لإعادة الإعمار، وبذلك وضعت الخلافات السياسية جانبا في أعقاب النزاع. وكان التأييد الدولي بالمساعدات المالية الدولية في جهود إعادة إعمار الكويت المدمرة لا يقدر بثمن، حيث حصلت عليها الحكومة عندما كانت لا تزال في المنفى.

أما بالنسبة للآثار الاقتصادية، فإن دفع نفقات الحرب وإعادة بناء الدولة الممرقة كانت عملية مكلفة للغاية، وأعاقت بشكل خطير إنتاجية الكويت، أضف إلى هذا خسوف تأخير في استئناف إنتاج النفط، وبذلك



الجلد 6

بدا الشيخ د. مشعل عبدالله الجابر الصباح العمل على أطروحة منذ بدأ الدراسة في جامعة هارفارد، وأشهر الجامعات في الولايات المتحدة الأمريكية، واستمر بالعمل على تطويرها طوال فترة دراسته لما تشكل لديه من اهتمام خاص، حتى أتمها واكتملت كأطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة كنجز كوليغ إحدى أعرق الجامعات البريطانية، وأشهرها على الإطلاق باهتمامها بالشرق الأوسط بشكل عام، وقضايا المرأة في الشرق الأوسط بشكل خاص، ما جعل المهمة مضاعفة على الباحث الذي استعان بالمصادر والمراجع من الكويت، وأنجز العمل الميداني للأطروحة بكفاءة من خلال نماذج متعددة من المرأة القيادية في مختلف القطاعات.

يذكر ان اطروحة الشيخ د. مشعل الصباح ستتم طباعتها في كتاب باللغة الإنجليزية وسيتم نشرها في دور النشر الأميركية والبريطانية وعدة دول أوروبية لما لها من أهمية وبما تتضمنه من قيمة علمية وتسد فراغا كبيرا في المكتبات الأجنبية حول هذا الجانب من الحياة السياسية والفكرية.